قرطاجة

تقدم لنا في الكلام على الفينيقيين ذكر هذه المدينة العظيمة وهي اشهر مدائنهم واوسعها ظلاً وامنعها جانباً واعزّها سلطاناً واغزرها ثروةً وقد التفّت حولها طوارئ الفينيقيين وانتشرت منها الى كل وجهٍ من المعمور فاستولت على مقاليد التجارة والصناعة واحتجنت جباية الاقاليم البرية والبحرية حتى اذا تأذّن الله بانقراض دولتهم في فينيقية بقيت خلفاً منها وقارعت الدهر ازماناً طوالاً الى ان لحقت بسالفتها فعادت كلتاهما كأن لم تغنَ بالامس سُنّةَ الله في خلقهِ

وكانت قرطاجة قائمةً على الشاطئ الشمالي الشرقي من بلاد المغرب وموضعها بين تونس واوتيكا وهي المعروفة اليوم بغار الملح . ويُطلَق اسم قرطاجة على جمهورية عظيمة هي اول جمهورية جمعت بين التجارة والفتوح الا انهُ لم يصل الينا من تأريخها الا الشيء اليسير مما استطرد الى ذكره بعض كتاب اليونان كهيرودوطس وارسطوطاليس وغيرهما وعنهم نقل كل من تكلم عليها بعد ذلك . وقد جاء ذكرها في شعر فرجيل الروماني لكن في كلام مورّي يؤخذ منهُ انهُ كانت قد حدثت في صور اضطراباتٌ سياسية هاجر بسببها قومٌ من اهل تلك الاطراف وقصدوا الساحل الشمالي من افريقيا وكانت قد أُنشئت هناك مدائن أُخرى فينيقية منها اوتيكا المقدَّم ذكرها فاختطّوا هذه المدينة في الموقع المذكور وكان ذلك نحو سنة ٨٦٠ قبل الميلاد . وقد اسلفنا في الكلام على الفينيقيين حديث ديدُون اخت

بجماليُون وما كان من مهاجرتها الى افريقيا بعد مقتل بعلها وشروعها في بناء قرطاجة وهو موافق لما هنا . قالوا ولما جاءت افريقيا رآها ايراباس ملك الجاتوليين وهم سكان تلك الناحية فطلبها للزواج فامتنعت فلما الحّ عليها طعنت نفسها بخنجر فماتت . وكان القرطاجيون يجعلونها في عداد الآلهة ولها عندهم هيكل كانوا يجتمعون فيهِ للمشورة

ولما استقرّ الفينيقيون في تلك الارض اخذوا يتبسطون فيها شيئاً بعد شيء بحيث لم يأتِ عليهم الا نحو نصف قرن حتى تملكوا جانباً عظيماً منها واوغلوا في داخلها الى مدًى بعيد ووزعوا طوارئهم بين تلك الامم الهمجية من الليبيين والزواكيين وغيرهم وكان غالبهم من القبائل الرُحَّل فامتزجوا بهم وعوّدوهم حرث الارض وسكنى المدَر ولم تلبث تلك الارض الخصيبة ان اصبحت باسرها مباءةً لهم وكانت طوارئهم هناك بمنزلة احلافٍ متضافرة تستظلّ جميعها تحت لواء قرطاجة

ثم ان القرطاجيين طمحت انفسهم الى التبسط شرقاً فزحفوا الى جهة قُورِين بساحل برقة وهي طارئة يونانية قديمة فكانت بين الفريقين وقائع دامية وفي آخر الامر استولوا على جميع الارض الواقعة بين خور سِدرة وخور قابس . وكان غرضهم من الاستيلاء على هذه الاماكن التذرع الى توسيع تجارتهم والايغال بها الى داخل افريقيا دون التملك لانهم كانوا على غير ثقة من انفسهم بالقدرة على ضبطها وحمايتها وانما كان معظم وكدهم منصرفاً الى امتلاك الجزُر لانهم يستطيعون ان يمنعوها باساطيلهم فافتتحوا سردينيا وهي افضل طوارئهم ثم جزُر الباليار (اي الرماة) ومالطة وكُرسكا وجزراً اخرى

صغيرة في البحر الرومي واستولوا على الجانب الغربي من صِقِلّية و بلغوا فيما يقال الى الجزر السعيدة وهي المعروفة بالجزائر الخالدات وجزيرة مُدَيرة وتوابعها في الاتلنتيك و بثوا طوارئهم في اسپانيا والسواحل الغربية من افريقيا وغيرها . ولحفظ هذه الفتوح لم يكن لهم بدٌّ ان يجهزوا اساطيل عظيمة وجيشاً عديداً وكان اكثر جيشهم من المتطوعة وبحارتهم من العبيد

اما دين القرطاجيين فقد كان مزيجاً من معتقدات الفينيقيين والليبيين واسماء آلهتهم قلما تختلف عن اسماء آلهة صور . وكان اعظم معبوداتهم زُحَل ويسمونهُ بعل مولك او كرُونوس وقيل المراد ببعل مولك الشمس وكان يحرم عليهم ان ينطقوا بهذا الاسم فاذا ارادوا ذكرهُ عبروا عنهُ بالازلي او السرمدي وذلك كما يفعل اليهود اذا ارادوا ذكر « يهوفا » فانهم يعبرون عنهُ بأدُوناي . ومن الآلهة الفينيقية مَلكَرْت وعشتاروت وكانوا يوقدون لملكرت نيراناً عظيمة كما كان يُصنع في كل طارئةٍ من طوارئهم ويرفعون اليهِ هدايا ثمينة يبعثون بها الى هيكلهِ في صور . وكان لهم في كل سنةٍ ضحايا بشرية يترضونهُ بها واذا نزلت بهم كارثةٌ شديدة ذبحوا لهُ اعزّ الناس عندهم . وذُكر انهم لما فشلوا في احدى حروبهم في صقلّية توهموا ان ذلك كان عقاباً لهم من ملكرت لتقصيرهم في توجيه الهدايا الى هيكلهِ في صور فارسلوا اليهِ اموالاً ونفائس لا تُحصَى حتى جردوا الهيا كل من اغشيتها الذهبية . ثم انهم كانوا قبل ذلك قد اصطلحوا على ان يفتدوا الاطفال التي يضحونها لهُ عادةً بعبيدٍ يشترونهم بالثمن فخافوا ان يكون هذا ايضاً مسبباً لغضبهِ فضحّوا لهُ مئتي رجلٍ من اشرف أُسَرهم . ورُوِي عن انيبال انهُ لما همّ بالحرب في

ايطاليا بلغهُ ان ولدهُ قد عيّن لان يكون ضحيةً في تلك السنة فقال الآن قد ارصدت للآلهة اكرم ذبيحة ترضيها

اما حكومتهم فكانت مؤلفةً من الاشراف وارباب الثروة لكن يمازجها شيءٌ من النظام الديمقراطي وكان مرجع الاحكام فيها الى مجلس شيوخ يتألف من نحو ثلاث مائة عضو من الاعيان ويرأسهُ نائبان يجدّد انتخابهما سنةً فسنة وكل ذلك على تفاصيل لم يبقَ سبيلٌ الى تحقيقها لغياب اصولها وكذلك موارد الدخل وكيفية توزيع الاتلوات والضرائب مما يذكرهُ المؤرخون على سبيل الحدس والتقريب فلا نطيل بالكلام عليهِ

وكان من وكد قرطاجة ان تحتكر لنفسها جميع موارد التجارة في الغرب فكانت تُبعد في مرمى طوارئها وتجهد في دفع الاجانب عن كل موضع تصل بضائعها اليهِ . وكانت تجارتها في البرّ على القوافل تستعين على خفارتها بالقبائل الرُحّل المجاورة لخور قابس وما يليهِ من الساحل فكان القرطاجيون يسافرون شرقاً الى مصر وجنوباً الى نواحي الزاب وما وراء ذلك . واما تجارتها البحرية فكانت مقصورةً في الغالب على طوارئها فكانت سفنها ترسو على جميع فُرَض البحر الرومي وتتجاوزها الى الحدود الشمالية من اسپانيا ثم تنتهي في الاتلنتيك من الجهة الواحدة الى شواطئ بريطانيا ومن الجهة الاخرى الى سواحل غينيا

وكان لا يزال في انفس القرطاجيين شيءٌ من الاستيلاء على بقية صقلّية لما هي عليهِ من الخصب والغنى فلما توالت انتصاراتهم وعظمت دولتهم ابرموا محالفةً مع أحشويرش (زركسيس) الاول ملك فارس سنة ٤٨٠ وكان

ينوي الغارة على بلاد اليونان وتواطأوا معهُ على ان يجيشوا على صقلّية في حين حشدهِ على اليونان فانضمّوا الى الاتروريين من طوائف ايطاليا بقيادة أَملكار احد مشاهير قوادهم وابحروا الى صقلية والتحم القتال بين الفريقين فكانت الدائرة على القرطاجيين كما كانت الدائرة في حرب اليونان على الفرس في حديثٍ ليس هنا موضعهُ . فاضطروا الى الصلح على غرامة الفي وزنة من الفضة (نحو احد عشر مليون فرنك ونيّف) والزموهم الغآء الضحايا البشرية لآلهتهم وان يبنوا تذكاراً لهذا الصلح هيكلين احدهما في قرطاجة والآخر في سرقوسة احدى مدن صقلية

ولبثوا بعد ذلك في سكون مدة سبعين سنة ثم استأنفوا الغارة على صقلية فناهضهم ديونيسيوس السرقوسي فكانت بين الفريقين ثلاث وقائع هائلة وذلك من سنة ٤١٠ الى سنة ٣٦٨ هلك فيها من جيش القرطاجيين خلقٌ لا يحصى وآخر الامر عُقِد الصلح بينهما على ان يلزم كل فريق حدودهُ الاولى فبقي القرطاجيون مستولين على ثلث الجزيرة

وحدثت بعد ذلك فتن متوالية في صقلّية فكان القرطاجيون عند حدوث كل فتنة ينهضون للغارة على بقية الجزيرة فيرجعون بالخيبة الى ان كانت الفتنة الكبرى سنة ٢٦٨ قبل الميلاد حين ثار الجيش في سرقوسة واستولى على مسّينا ثم اوقد الثورة في عامّة الجزيرة فانقسم الصقلّيون الى حزبين احدهما مع الثوّار والآخر عليهم وانضمّ القرطاجيون الى هذا الحزب فكانوا يداً واحدة على الثوار فاستغاث هؤلآء بالرومان ونشبت الحرب بين الجانبين فكانت الغلبة للثائرين وأُلجئ القرطاجيون الى الخروج من الجزيرة

وكان ذلك بدء الحروب المشهورة بين القرطاجيين والرومان المعروفة بالحروب الفينيقية (Guerres puniques) . وتوالت الوقائع بعد ذلك بين الطائفتين تارةً في البرّ وتارةً في البحر وكان الفوز في اكثرها للرومان واخيراً أُبرِم الصلح على غرامةٍ فادحة كان من اعقابها عجز القرطاجيين عن اداء رواتب الجيش وذلك نحو سنة ٢٤٠ فثاروا عليهم وشايعهم فريقٌ من الرعية كانت قد اشتدّت عليهم المضايقة في اثناء الحرب فاضطرمت الفتنة الداخلية في البلاد ودامت مدة ثلاث سنوات انتشرت في اثنآئها الى سردينيا فكانت سبباً في خروجها من ايديهم واستولى الرومان عليها غنيمةً باردة

(ستأتي البقية)

من أين اخذ پستور

جآء في احدى المجلات العلمية كلامٌ في معنى هذا العنوان فاحببنا تعريبهُ لما فيهِ من الفائدة قالت

من المشهور ان پستور هو المكتشف لجراثيم الاختمار في المواد العضوية والواضع لهذا العلم في الزمن الحالي ولكنا عند البحث نجد انهُ لم يفعل في هذا الشأن سوى انهُ استقرى اقوال من سبقهُ واخذ من مجموعها اصلاً بنى عليهِ وفرّع عنهُ و بذلك انطمس ذكر من جآء قبلهُ واصبح الامر كلهُ منسوباً اليهِ مع ان جميع ما ذكرهُ قد تقدمهُ فيهِ غيرهُ من زمنٍ طويل خلا ان ما قالوهُ كان ينقصهُ القياس النظري وهو كل ما فعلهُ پستور

وذلك انهُ كان من المعلوم من عهدٍ بعيد ان الاختمار في الخمر والسوائل

الروحية لا يتم الا بوجود السكر والخمير والمآء والحرارة . وقد نبه تينار منذ سنة ١٨٢٧ الى ان الخمير يحلّ السكر ويحيلهُ الى كحل (سبيرتو) وحامض كربونيك . وكذلك اختمار التخليل واختمار التعفن كان من المعلوم ان الاول لا بدّ لهُ من وجود خميرٍ خاص غير الخمير السابق يحول الكحل الى حامض خليك وكانت الاحوال التي لا يقع التعفن في الاجسام الآلية الا بها معروفةً عند تينار وغيرهِ ممن تقدمهُ فانهُ كان من الثابت عندهم ان التعفن ينتشر بالحرارة ويتوقف بالبرد او يمتنع بتةً اذا كانت الحرارة تحت درجة الصفر . وقد استقرى تينار تأثير الهوآء فتحقق انهُ اذا كان ساكناً اعان على سرعة الاختمار واذا كان متحركاً أخرهُ لانهُ حينئذٍ يجفف الاجسام ويحمل ما ينشأ عليها من جراثيم الفساد

وجآء في كلام لسّاك انهُ اذا عُصِر العنب في جوٍّ خالٍ من الاكسيجين خلوًّا تاماً كأن يُعصَر في اناء مملوء من الهدروجين مثلاً لم يحدث هناك اختمارٌ البتة واذا ملئت زجاجةٌ من عصير العنب بعد عصرهِ في الهوآء وسُخّن كل يوم على ١٠٠ْ امكن ان يُحفَظ عدة اشهر بدون ان يختمر

وقد اشتهر عند المتقدمين ان الملح والكحل والخلّ تحفظ المواد القابلة للفساد واذا رجعنا في التاريخ الى زمن المصريين الاولين تبين لنا انهم كانوا على تمام المعرفة بموانع الفساد وحسبنا شاهداً على ذلك هذه الاجساد المحنطة الباقية عنهم الى هذا اليوم

ومن غريب ما يُذكَر في هذا المقام ما جآء في كلام كانيار لاتور منذ سنة ١٨٣٥ من ان خمير الجعة مؤلف من اجسام مجهرية (مكرسكوبية)

هليلجية الشكل او كُرَويّتهِ وانهُ يمكن ان تكون اجساماً حية قابلة لان تتوالد من طريق التفريخ البرعميّ . وبعد ذلك اكتشف داڤين سنة ١٨٥٠ في دم الحيوانات الميتة لحماً وضرباً من الجُسَيمات الحية المعروفة بالمتمعجات (Vibrions) يتحرك حركاتٍ في غاية السرعة اذا حقن بهِ تحت جلد حيوان حيّ هلك بنفس المرض الذي ماتت بهِ تلك الحيوانات

ثم انهُ بعد عشر سنوات اخذ پستُور هذه المعلومات كلها فاستنبط منها اقيسةً عامةً وفرَّع عليها بحثاً نظرياً ردَّها فيهِ الى انواعٍ نبه على هيئاتها وخواصها وبنى على ذلك كلهِ علماً جديداً هو علم البكتيريولوجية . انتهى بتصرفٍ قليل

فردوس الپاسيفيك

هو الاسم الذي يطلقهُ السيَّاح عادةً على جزائر فيجي وهي مجموع جزائر واقعة في الاوقيانوس الپاسيفيكي على بعد نحو ١٦° من جنوبي خط الاستواء. وقد وقفت على مقالةٍ لبعض سياح الافرنج يصف فيها هذه الجزائر فرأيت ان افكه بها قرآء هذه المجلة ولعلها لا تخلو من فائدة لطلاب المباحث الجغرافية

اما مجموع الجزائر المذكورة فهو مؤلفٌ من اربعين جزيرة ومئتي قارة[1] صخرية غالبها مقفر يتوسطها بحر كورو وتبلغ مساحة هذه الجزائر كلها مع القارات نحو ثلث مساحة البلجيك ويبلغ عدد سكانها ٥٠٠٠٠٠ نفس

اما سكان هذه الجزائر فكانوا فيما مضى من اكلة لحوم البشر وقد

(١) القارة بتخفيف الرآء الصخرة العظيمة والمراد بها هنا الجزيرة الصغيرة

ذكر احد شيوخ الاهالي لبعض السائحين في تلك الناحية ان لحم البيض كثير الملوحة ولحم النوتية يخالطهُ طعم قطران وتبغ مع عفونة وان الذّ اجزآء الجسم طعماً الرأس والفخذان

وهم نحاسيو اللون يطلون جلودهم بالزيت ويلبسون مآزر على اوساطهم مصنوعة من الياف شجر النارجيل واما في الاحتفالات والاعياد فانهم يحبون ان يرتدوا بالملابس ذات الالوان الزاهية وان يتزينوا بالجواهر البرّاقة . ومن الغريب انهم مع قلة اعتنآئهم بالملابس الا في ايام الاحتفالات فانهم كثيرو الاعتنآء بشعرهم فان البعض منهم يتركون شعرهم طويلاً ويضفرونهُ حول رؤوسهم على شكل مروحة بواسطة عجينة رطبة من مسحوق المرجان والبعض يصنعهُ على اشكالٍ اخرى كثيرة كلها غريبة المنظر ويصبغون وجوههم بالزنجفر فيزداد منظرهم غرابةً ولكن كل ذلك ممنوع على الاعزاب وهم عندهم في منزلةٍ حقيرة

وعندهم نوعٌ من اللباد يتخذونهُ من النبات ويستعملونهُ للباس والفرش وهو في غاية الموافقة لبلادهم فانها تتقلب على مدار السنة تحت اشعة الشمس العمودية يسقط فيها من المطر نحو ثلاثة امتار في السنة وهذا اللباد جامع بين الخفة والكثافة فيمنع نفوذ مآء المطر لكثافتهِ ولا يمنع البرودة في الصيف لخفتهِ

اما بيوتهم فانهم يصنعوها ايضاً بحيث يدخلها الهوآء ولا يدخلها المآء والرطوبة فيبنونها على دِكاكٍ ينضدونها من قطع كبيرة من الصخر ثم يبنون فوقها الجدران وهي جوائز صلبة من الخشب يربطون عليها اغصاناً من

الصفصاف مشبكة بعضها ببعض بواسطة الياف من شجر النارجيل ثم يغطونها بطبقة كثيفة من اوراق النخل . اما السقوف فيصنعونها مسنَّمة بحيث تكون مرتفعةً في الوسط ومصوَّبة عن الجانبين ليسهل انحدار المآء عنها ويغطونها بالقصب واوراق الشجر فلا يزال يتخللها الهوآء . وقد كان رؤسآء الجزائر فيما مضى ينصبون امام بيوتهم حجارة كبيرةً على عدد الناس الذين اكلوهم وقد رُؤي في سنة ١٨٩٤ امام بيت احدهم ٨٧٢ حجراً

اما بلادهم فانها ذات جمال بديع وفيها كثير من المناظر الطبيعية الشائقة التي تكون عادةً في تلك المنطقة الحارة وذلك مع خلوها من الامراض التي يكثر وجودها في المنطقة المذكورة لان تلك الجزائر لا اثر فيها للمستنقعات الفاسدة التي تنتشر منها الامراض القتالة بواسطة الابخرة المتصاعدة منها فان مياه الامطار الغزيرة تجري من اعالي الجبال في انهرٍ ومجارٍ يتخللها شلالات صغيرة الى ان تصل الى البحر فتصب فيهِ بدون ان تترك اثراً لمستنقع

واذا تجوَّل السائح على شواطئ هذه الجزائر يرى طرقاً منحوتة في الصخور المرجانية على بضع اقدام من سطح البحر ومن هذه الطرق يرى البحر ممتداً بين الصخور المرجانية واذا ركب في البحر وسار بجانب الشاطئ يرى العشب والصدف والمرجان في قعر البحر المنار باشعة الشمس العمودية ويرى الاسماك الغريبة التكوين والتلوين التي توجد عادةً في ذلك البحر وبالاجمال فان منظر تلك الجزائر يُعدّ من ابهج المناظر وابهاها فلا بدع اذا أُعجب السياح بمحاسنها وسموها بفردوس الپاسيفيك

فريد البرباري

معالجة الحرَق

لا يخفى ان الحرَق من الحوادث الكثيرة الوقوع لتعدّد اسبابهِ واختلافها وكثيراً ما يفضي الى عواقب سيئة اذا لم يُعجَل في تداركهِ ومداواتهِ بالوسائط التي تمنع تطرُّق الفساد الى ما ورآء الجلد ولا سيما في الحروق البالغة . وقد وقفنا في ذلك على فصلٍ لبعض اكابر الاطبآء فرأينا ان ننقلهُ الى القرآء لما فيهِ من الارشادات المفيدة في مثل هذه الحوادث قال

اول ما يجب المبادرة اليهِ في علاج الحرق مهما كان نوعهُ اتّخاذ الذرائع المانعة للفساد فاذا كان الحرق في موضع من البدن مغطًّى باللباس ينبغي ان يُشَقّ اللباس من ذلك الموضع بدون توقف ثم يُرفَع ما التزق منهُ بالجلد بكل رفق بحيث لا يُفقأ المَجْل اي الجلد المتنفط بسبب الحرق فان اقلّ ما في بقآئهِ انهُ يمنع فساد الانسجة التي تحتهُ بوقوع الجراثيم المفسدة عليها من الهوآء . واذا اتفق ان تحترق البشرة حتى ينكشف ما ورآءها من النسيج الباطن ينبغي ان يبادَر الى تغطية الموضع المكشوف برفادةٍ تتخذ من خِرَقٍ مضاعفة تُغمَس في محلول مشبع من الحامض البوريك (٣٠ غراماً من الحامض في اللتر من المآء) او في مآء قد عُقّم بالاغلاء

وبعد ذلك يؤخذ في غسل الحرق وينبغي ان يكون هذا الغسل بالتأني على جميع القسم المصاب من الجلد لانهُ عليهِ يتوقف تحقق البرء وسرعتهُ . فيبتدأ اولاً بالاجزآء المحيطة بموضع الحرق مما يلي الجلد الصحيح ثم يُمَدّ الغسل شيئاً فشيئاً الى الوسط حتى يعم الموضع كلهُ . ويستعمل لذلك قطعة

معقمة من النسيج تُغمس في محلول فاتر من الصابون والكحل ثم يعاد الغسل بالكحل والايثير و بعد ذلك يُغسَل الموضع بالمآء المعقَّم بالاغلآء او بمحلول البوريك او المآء المملوح فاتراً

و بعد تمام الغسل يضمَّد القسم المحرق كلهُ وكانوا قبلاً يستعملون هذا الضماد بمرهم الكلس وهو يركَّب في الصيدليات من مقدارين متساويين من زيت الكتان ومآء الكلس ولكنهم عدلوا عنهُ في هذه الايام الى محلول الحامض البكريك تُغمَس فيهِ رفادةٌ ثم تُعصَر عصراً خفيفاً وتُجعَل على موضع الحرق ثم يُعصَب فوقها بقطعة من النسيج وقد ظهر بتوالي الاختبار ان هذا المحلول من افضل ما استُعمِل في علاج الحرق واوكدهِ نفعاً

واذا لم يكن باطن الجلد مكشوفاً يمكن ان يكتفَى بعد الغسل بمرهم الكلس وهذا يمكن تجهيزهُ في الحضرة بان يُمزَج شيءٌ من الزيوت ما كان بمقدار قليل من الكلس المطفأ والمآء

هذه اول التدابير التي ينبغي الالتجآء اليها قبل حضور الطبيب ان كان في الحال ما يضطرّ الى استدعآئهِ على انهُ انما يُحتاج اليهِ في الحروق البالغة واما الحروق الخفيفة فيكتفَى فيها بما ذُكر

من كلام عضد الدولة ما كتب بهِ الى احد عمالهِ « غرَّك عزُّك فصارَ قُصارُ ذلك ذُلَّك فاُخشَ فاحِشَ فعلك فعلَّك بهذا تهدأ » وهذه الكلمات كلها متشابهة في الخط كما ترى لا يميَّز بينها الا بالنقط والشكل

كتاب المترادفات(١)

هو الكتاب الذي علّلتنا بهِ نظارة المعارف المصرية الجليلة منذ سنين وقد برز والحمد لله من جانب « النية » الى جانب الايعاز ثم الى جانب التأليف فالطبع الى ان تمثل لنا كتاباً سوياً . . .

والكتاب « تأليف الفاضلين عبد الجواد افندي عبد المتعال وعبد الله افندي الانصاري استاذي اللغة العربية « بالمدرسة » الخديوية . . وقد « نظرهُ » فضيلتلوحضرة العلامة الفاضل الاستاذ الشيخ حمزة فتح الله مفتش (اول) اللغة العربية « بالمدارس » و « اقرّ » على طبعهِ »

وكنا عند ظهورهِ قد تصفحنا بعض الشيء منهُ ثم اعترضتنا من دونهِ مشاغل استوقفتنا عن تمة مطالعتهِ وربما لم يتمثل لنا بعد ذلك في بال الى ان نبهنا اليهِ بعض اساتذة المدارس الاميرية على ما تراهُ في الجزء السابق فاصبح حقاً علينا ان نفرّغ لهُ جانباً من وقتنا وما هو مما يقتضي منا وقتاً طويلاً لانهُ لا يتجاوز ٦٢ صفحةً صغيرة خلا ما ذُيّل بهِ من كلام حضرة « مفتش اول اللغة العربية » وهو اربعة اسطر يؤخذ منها ثلاثة امور . الاول اعترافهُ بل تبجحهُ بانهُ هو الذي « صحح الكتاب وضبط مفرداتهِ اللغوية عراضاً على امهات الكتب » فصار هو المسؤول عن كل ما فيهِ . والثاني شهادتهُ بانهُ « جاء صحيح المبنى والمعنى » وهو ما يدور عليهِ كلامنا في

(١) راجع ضيآء السنة الرابعة ص ٤١٩ الى ٤٢٣ وضيآء هذه السنة ص ٥٣٦ وما يليها

هذا الفصل . والثالث ان ذلك اي صحة المبنى والمعنى « قلما يوجد في اضرابهِ من الكتب المؤلفة في بابهِ » . وفي هذا القول من التهور ما كنا نحب ان يصون الشيخ نفسهُ منهُ على أنا عند تصفح الكتاب وجدناهُ باسرهِ منقولاً عن كتابيِ فقه اللغة للثعالبي والالفاظ الكتابية للهمذاني لانهُ من اولهِ الى آخر صفحة ١٢ منقول عن فقه اللغة ومن صفحة ١٣ الى ٤٠ عن الالفاظ الكتابية ومن هناك الى آخر الكتاب عن فقه اللغة . وحينئذٍ فما ندري كيف يبرأ مما في هذين الكتابين من فساد المبنى والمعنى الا ان يعني الشيخ انهُ بتصحيحهِ ومعارضتهِ على امهات الكتب قد نفى منهُ ذلك الفساد فبقي ان نفحص هذه الدعوى لنتبين مكانها من الواقع

على ان ما ابنّاهُ في الجزء السابق من مواضع التحريف والافساد في النقل عن الكتابين المذكورين كافٍ في الدلالة على هذا الغرض غير اننا اجابةً لصاحب السؤال وتنبيهاً لسائر الذين ضُرب عليهم مقتنى هذا الكتاب الى ما فيهِ من مواضع الزلل لم نجد بأساً ان نتتبع سائر ما يبدو لنا فيهِ من الهفوات ليكون مطالعوهُ على بيّنةٍ من الاخذ عنهُ ورجاء ان يصحَّح في الطبعات الآتية بما يكون معهُ جديراً بالثقة والله ملهم الصواب

فمن ذلك في صفحة ٥ وهي الصفحة الاولى من الكتاب في سياقة الاوائل « وفواتح الامر واوائلهُ وبواديهِ بمعنًى » . فقولهم (أي قول المؤلفَين والمصحح) « وبواديهِ » البوادي جمع بادٍ او بادية وليس شيءٌ منهما بمعنى اول الامر . واذا تساهلنا وفرضنا ان في هذه الكلمة شيئاً من المطبعة وانهم ارادوا بوادئهُ بالهمز فكذلك لانهُ لا يقال باديءُ الامر ايضاً ولا بادئتهُ بمعنى بدئهِ

وفي صفحة ٦ « الرسّ البئر الكبير » وصوابهُ « الكبيرة » لان البئر انثى

وفي هذه الصفحة « الجخدُب الضخم الغليظ » والذي في فقه اللغة « الجخدب الجندب الضخم » وهو اللائق بهذا المقام لان الكلام في سياقة الاشيآء الكبيرة باعتبار ما يُطلَق عليها لا في بيان مرادفات الكبير على ان كلا المعنيين واردٌ في كتب اللغة فما ندري ما كان الداعي الى هذا العدول

وفي صفحة ٨ « وعيشٌ رفيع » بمعنى واسع . وصوابهُ « رفيغ » بالغين المعجمة ويقال ايضاً عيشٌ رافغ ورابغ وقد رَفُغَ عيشهُ بالضمّ وهو مثل رَفُهَ وانهُ لفي رَفاغةٍ من العيش ورَفاغيَة ورُفَغْنية كل ذلك لغةٌ في الهآء

وفي صفحة ١٠ « الوتيرة ما بين المَنخُرين » وضُبِط لفظ « المنخرين » بفتح الميم وضم الخآء وصوابهُ الفتح فيهما او الضم فيهما معاً . قال في القاموس « المنخر بفتح الميم والخآء وبكسرهما وضمهما وكمَجلِس ومُلمول الانف » ومثلهُ في غيره من « امهات الكتب » لم يحكِ احدٌ المَنخُر بفتح الميم وضم الخآء . على ان هذا من الابنية النادرة لم يجئ منهُ الا مَنعُم فيما ضبطهُ صاحب القاموس والا مَكرُم ومَعُون ومأْلُك فيما رواهُ الكسآئي والمبرّد لم يُسمَع غير ذلك

وفي صفحة ١١ في تأكيد الالوان « وأحمر قانٍ » بجعل « قانٍ » من المعتلّ والافصح « قانئٌ » بالهمز قال في لسان العرب وترك الهمزة فيهِ لغةٌ اخرى ومعلوم انهم متى قالوا هذا لغة في كذا فُهِم منهُ انها لغةٌ ضعيفة . على ان هذا اللفظ في فقه اللغة حتى في نسخة الاب شيخو مهموز

وفي صفحة ١٣ في مرادفات الجدّ في العمل « وفلانٌ همٌّ بالعمل ونهض

واستقلّ وأوفى بهِ اي مضى فيهِ » وفي هذا السرد ما لا يخفى فان معنى «همّ بالعمل » نواهُ وارادهُ وعزم عليهِ كما في لسان العرب فهو لا يتضمن معنى الشروع في العمل فضلاً عن الجدّ فيهِ . وقولهم « وأوفى بهِ » اي بالعمل لا معنى لهُ والمعروف في هذا الاستعمال اوفى بعهدهِ بمعنى وفى بهِ . وما ننكر ان كلا اللفظين واردٌ في الالفاظ الكتابية ولكن اين قول الشيخ انهُ « عارضهُ على امهات الكتب » اولم يكن هذا اولى من تبديلهِ عبارة الثعالبي في صفحة ١٢ وتخصيصهِ الصَنَر باللحم بعد ان كان مخصَّصاً بالسمك مع صحة استعمالهِ في كليهما

ومن هذا القبيل ما جآء في صفحة ١٥ في مرادفات التخاذُل « حصل بين القوم التفرق والتدابُر والتفاشُل » ولم يُنقَل في اللغة تفاشل القوم ولا هو مما يصبح بنآؤهُ في القياس لان افعال المشاركة لا تبنَى الا من المتعدي ولو تأويلاً فيقال تخاذلوا اذا خذل بعضهم بعضاً وتدابروا اذا ادبر بعضهم عن بعض ومثل هذا لا يُتصوَّر من الفشل لان معناهُ الجبن والفزع والضعف فهو من الافعال التي لا يتعدى اثرها نفس الفاعل فلاوجه فيهِ للمشاركة كما هو ظاهر

وفي صفحة ١٦ في مرادفات كرم الطبع وحسن الخلق « وهو سيّئ الخلق وشكس وشَرِس وخبيث النية مزدرًى في خَلقهِ وخُلقهِ » وهذا الاخير في منتهى الغرابة وانظر اين معنى الازدرآء في الخَلق والخُلق من سوء الخُلق والشكاسة وما يليهما

وفي صفحة ١٨ في مرادفات المصالحة « وضَرَعوا الى الهدء وفرَعوا

اليهِ » ولا معنى لفَرَعوا هنا وهو كما تراهُ بالرآء المهملة مفتوحةً في الرسم والذي في الالفاظ الكتابية « فَزِعوا اليهِ » بالزاي مكسورةً اي لجأوا وهو التعبير الصَحيح وما ندري عن اي « امهات الكتب » صححت هذه الكلمة . . .

ثم جآء بعد ذلك « وتحاجزوا عن بعضهم » وهذه لم ترد في الالفاظ الكتابية وانما هي من عند مؤلفي الكتاب وهذا التركيب فاسدٌ كما لا يخفى لان معناهُ ان كلهم تحاجزوا عن بعضهم فانظر كيف تفهم ذلك . والصواب حذف هذه الصلة والاكتفآء بلفظ تحاجزوا لان صيغة تفاعل تفيد الاشتراك على ما تقدم البحث فيها قريباً (ستأتي البقية)

نحن والمنار

والدين الاسلامي

وقفنا في مجلة المنار ـ وما نحن ممن يقرأ المنار ولكن أطلعنا عليهِ بعض الاخوان ـ على عبارةٍ استوقفتنا بين الحيرة والاسف لما انتهت اليهِ حالة الفوضى القلمية في هذا القطر وانقطاع كل عقالٍ فيهِ حتى اصبح كل شيء مباحاً وصار الكاتب اذا هجس في صدرهِ خاطر متخرص او مرَّ بسمعهِ قول مُرجِف لا يلبث ان ينشرهُ بغير تثبت ولا فحص يشوش بهِ الافكار ويجعلهُ مصدراً للقيل والقال

على أنّا لم نكن لنحفل بقولٍ قالهُ صاحب المنار او غيرهُ لولا انهُ نشرهُ على كثيرين ممن لم تسبق لهم معرفةٌ بنا ولم يُثبِتوا صفاتنا واخلاقنا فربما توهموا ان لقولهِ ظلاً من الصحة وهو امرٌ لا نرضى بهِ ولو كان الذين يجوز

عليهم ذلك القول عشرة انفس في القطر

واليك العبارة التي قرأناها في المجلة المذكورة قالت

« نشرت مجلة البروتستنت المصرية نبذةً في الطعن بالقرآن نقلتها عن كتاب لهم يقال ان للشيخ ابرهيم اليازجي يداً في تصحيحهِ او تأليفهِ او ترجمتهِ والزيادة فيهِ » انتهى بحرفهِ . فوقفنا نقلّب الطرف في هذا الكلام ونحن نستحضر ما كرّ علينا من سوالف الايام ونتمثل ما مرّ بنا من غرائب الاحلام لعلنا نتذكر في اي عهدٍ كنا من المناقشين في العقائد الدينية وفي اي زمنٍ كنا نؤلف الكتب في الطعن على الاسفار السماوية ومتى كنا نتعاطى حرفة التبشير بالاديان واي ثمرةٍ لنا في صرف بعض القوم عما اعتقدوهُ من الايمان . . امورٌ يعلم كل من لهُ ادنى معرفةٍ بنا اننا من ابعد الناس عنها وفي مراجعة بعض مقالاتنا في الضيآء ولا سيما مقالتنا في جرائد القطر المصري ما يدل المطالع اننا لسنا بالموضع الذي حاول صاحب المنار ان ينزلنا بهِ

وبعد فما ندري ما غرض الرصيف الفاضل من التعريض بنا في هذه المسئلة وشدة حرصهِ على ان يلصق بنا شيئاً من امر هذا الكتاب فهو ان لم يكن من تأليفنا فمن ترجمتنا وان لم يكن كذلك فمن تصحيحنا وان لم يثبت هذا ايضاً فلا اقلّ من ان نكون قد زدنا فيهِ فنحن على كل حال مأخوذون بواحدة . . . على ان كل هذا مبنيٌّ عندهُ على شهادة « يقال » وهي شهادةٌ ما انزل الله بها من سلطان . وقد كان يستطيع لو شآء ان يستثبت ذلك منا مشافهةً فاننا في بلدٍ واحد لا يمتنع علينا ان نجتمع كل يوم وقد التقينا غير مرةٍ وليس بيننا الا احديث المودّة حتى كنا الى هذه الساعة نعتقد صداقتهُ

ــ وان لم تثبت مع التعصب صداقة ــ فلا يحجبهُ عنا حاجب . ولو فعل لاكتفى اعنات نفسهِ في الاستخبار والاستطلاع ان كان حقاً قد قيل لهُ ذلك عنا او كدّ مخيلتهِ في الحدس والتكهن ان كان ذلك افتئاتاً من عندهِ

على ان معرفة مؤلف الكتاب لا تفيدهُ شيئاً لان غريمهُ انما هو الكتاب لا الكاتب وسوآء صح ان المؤلف نحن او سوانا فانهُ لا يستطيع ان ينال منهُ شيئاً لان حرية الاقلام بل فوضى الكتّاب شائعةٌ في هذا القطر السعيد بفضل حكومتهِ الحكيمة وهذه بعض جرائد القطر وكتبهِ تطعن في الاديان جهراً ولا تُسأل عما تفعل واولها مجلة المنار واسم صاحبها مصرّحٌ بهِ في صدرها فلو كان على الكاتب تبعةٌ في مثل هذا لكان هو اول من يؤخذ بهِ

ولكننا نحقق لحضرة الرصيف الفاضل اننا برآء مما اتّهمنا بهِ او ما اتُّهمنا بهِ لديهِ واننا من ابعد خلق الله عن هذه السخافات التي يتاجر بها قومٌ لاستدرار الرزق من اخبث موارده وان لم يكن لهُ بدٌّ من ملازمة هذا الموقف والنضال بهذا السلاح فعندهُ من قسوس الانكليز والاميركان ومن ينتمي اليهم من المتقسسين ـ وكلهم معروفون لديهِ اسماً وجسماً ـ من يكفيهِ استنزالنا الى هذا المجال وتكليفنا ان نعمل بضد ما طُبعنا عليهِ وان نسعى بهدم الأُلفة بين عناصر الامة ان كان قد ترك لها امثالهُ بنآء قائماً وهذا القدر كافٍ في هذا المقام ولا حول ولا قوة الا بالله

آثار ادبيّة

ديوان الرافعي ـ أُهدي لنا الجزء الاول من هذا الديوان وهو من نظم حضرة الفاضل مصطفى صادق افندي الرافعي وعليهِ شرحٌ لحضرة شقيقهِ الاديب محمد كامل افندي الرافعي . وقد صدَّرهُ الناظم بمقدّمةٍ طويلة في تعريف الشعر ذهب فيها مذهباً عزيزاً في البلاغة وتبسط ما شآء في وصف الشعر وتقسيمهِ و بيان مزيتهِ في كلامٍ تضمن من فنون المجاز وضروب الخيال ما اذا تدبّرتهُ وجدتهُ هو الشعر بعينهِ

والديوان يشتمل على ابوابٍ مختلفة من المديح والوصف والغزل والرثآء وغير ذلك وهو رصين النظم محكم السبك جامعٌ بين فخولة اللفظ وسهولة التراكيب وكلهُ يدلّ على تدفق طبعٍ وغزارة محفوظ وسعة اطلاع على شعر المتقدمين والمتأخرين بحيث كان آخذاً بالطرفين جامعاً بين الحاشيتين . ونحن نورد شيئاً من امثلتهِ هنا كقوله يذكر مجد الشرق القديم من قصيدة

تمايلَ دهركَ حتى اضطرب		وقد ينثني العطف لا من طرب
ومرَّ زمانٌ وجآءَ زمانٌ		و بين الزمانين كل العجب

ومنها

ألستَ ترى العرب الماجدينَ		وكيف تهدَّم مجد العرب
فاينَ الذي رفعتهُ الرماحُ		واين الذي شيَّدتهُ القُضُب
واين شواهقُ عزٍّ لنا		تكاد تمسُّ ذراها السُحُب
لقد اشرق العلم من شرقنا		وما زال يضؤُل حتى غرب

وقولهِ في فلسفة الحب

لا تلم ذا الهوى على ان يبوحا   هكذا العطر دأبهُ ان يفوحا
كيف تخفى بين العواذل نارٌ   ساورتها الرياح ريحاً فريحا
وسقام الهوى يلوح على العا   شق مهما اراد ان لا يلوحا
غلب الشوق اهلهُ فترى القو   م طريحاً قضى ونضواً طريحا
وكأنَّ الغرام حين شرى الانفس   م الفى الكرام ارخص روحا
يا اخا الحب ما ارى الحب الا   نظراً جارحاً وقلباً جريحا
ثم من عاش بعد ذاك فقد عا   ش ليبكي مما بهِ او ينوحا

وهي طويلة نكتفي منها بهذا القدر . واكثر ما في الديوان من هذا النسج الانيق والوشي البديع الا انهُ على توفر المحاسن الشعرية فيهِ ربما بلغ من اهتمام الناظم باستنباط المعاني وتنسيقها ما شغلهُ عن تحرير الاحكام اللفظية فوقع لهُ ما يؤخذ عليهِ من طريق اللغة او الوزن او غيرهما . ولا بأس ان نذكر بعض ما مر بنا من ذلك استيفآءً لحق النقد كقولهِ في صفحة ٢٧

فكم رجلٍ ترى فيهِ صبياً   وكم من صِبيَةٍ وهمُ رجالُ

فقد وهمت كم في عجز البيت مبتدأً لا خبر لهُ . وقولهِ في صفحة ٥٠

ارى ذا الليل قد خفقت حشاهُ   وبيَّض عينهُ نزف الدموعِ

فأنث الحشا وهو مذكر . وفي صفحة ٥٥

كانهم رهبانُ في بيعةٍ   قد اوقدوا في كل كأسٍ سراج

فمنع صرف رهبان ولا وجه فيهِ للمنع . وربما استُدرج بشهرة استعمال بعض الالفاظ كما في قولهِ في صفحة ٤٨

وقد مدَّت حواجبها شراكاً   وطير الروح دانية الوقوعِ

اراد شَرَكاً اي حبالةً وانما الشراك السير تُشدّ بهِ النعل . ومثلهُ في صفحة ١٠٠

انّا ليوثٌ شهدوا انها   اشبال ذاك الاسد الكاسرِ

وصف الاسد بالكاسر وانما هو من صفة الطائر اذا كسر جناحيهِ للوقوع

وكقولهِ في صفحة ٢٥

نحن في هذه المدارس نسعى   لنبرّ الوالدات والوالدينا

وفي وزن البيت زيادة حرفٍ متحرك وهو اللام من والدات . وعكسهُ في صفحة ٥٧

يا غلام ارقب الفجر حتى   يتجلى فنادني للمدامِ

فان صدرهُ ينقص وتداً مجموعاً ويتم بان يكرّر لفظ ارقب مثلاً . وفي صفحة ١١٩

انا لم يبقَ بين جنبيّ الا   كبدٌ من لوعة الشوق حرّى

وفي عجزهِ نقص سببٍ خفيف بين كبد ولوعة . وفي صفحة ١٠١

صدَّت فكان سلامها نزراً   وغدت تضنّ بذلك النزرِ

فجاء بالعروض الحذّاء مضمرةً والاضمار مع الحذذ لا يقع الا في الضرب

على ان هذا لا يُنزِل من قدر الديوان وان كان يُستحَبّ ان يخلو من مثلهِ لان المرآة النقيّة لا تستر ادنى غبار ومن كملت محاسنهُ ظهر في جنبها اقلّ العيوب . وما انتقدنا هذه المواضع الا ضِناً بمثل هذا النظم ان تتعلق بهِ هذه الشوائب ورجاء ان يتنبه لمثلها في المُنتظَر فان الناظم كما بلغنا لم يتجاوز الثالثة والعشرين من سنيهِ ولا ريب ان من ادرك هذه المنزلة من البراعة في مثل هذه السنّ سيكون من الافراد المجلّين في هذا العصر وممن سيحلّون جيد

البلاغة بقلائد النظم والنثر . فنحن نكرر ثنآءنا على حضرتهِ بما هو اهلهُ ونحث المتأدبين على مقتنى هذا الديوان والتفكه بما انطوى عليهِ من البدائع الحسان وهو يباع في مكاتب القاهرة وثمنهُ خمسة قروش مصرية

منتخبات الشيخ نجيب الحداد — لا نزيد القرآء علماً بمكان المرحوم الشيخ نجيب الحداد من صناعة الانشآء والنظم وما بلغت اقوالهُ من المنزلة عند الخاصة والشهرة عند العامة لما هي عليهِ من بلاغة التعبير واحكام الترصيف وسلاسة الالفاظ ووضوح المعاني مع مراوحتهِ بين المباحث السياسية والفلسفية والاغراض الاجتماعية والتهذيبية الى غير ذلك مما جمع نفوس القرآء على ايثار كلامهِ وجعل لهُ عند كل طبقةٍ مقاماً وفي كل مجلسٍ ذكراً

وقد عُني بجمع هذه الاقوال من متفرق الصحف وشذور الاوراق حضرة صديقهِ الاديب حنا افندي النقاش وطبعها في سفرٍ مستقلّ حرصاً على بقآئها فجآء ما اختارهُ منها في ٢٤٠ صفحة من مثل صفحات الضيآء وجعل ثمن النسخة منها عشرين غرشاً مصرياً . فنثني على همة المشار اليهِ اطيب الثنآء لحرصهِ على حفظ هذا الاثر النفيس ونحث القرآء على مقتنى هذا الكتاب فانهُ من خير ما تُشغَل بهِ الاوقات وافضل ما تزان بهِ المكاتب

كتاب الف ليلة وليلة — اطرفتنا مطبعة الهلال الاغر بالجزء الثالث من هذا الكتاب وهو كالجزءين السالفين منقَّح مما يستهجن ذكرهُ ومطبوعٌ طبعاً حسناً مع تحليتهِ بصور بعض الوقائع وعدد صفحاتهِ ٢١٦ صفحة وهو يباع في مكتبة الهلال وثمنهُ ١٠ غروش مصرية

فكاهات

اول كاس (١)

كان في سنة ١٨٦٥ رجلٌ طاعنٌ في السن يقيم مع ابنيهِ في بلدةٍ بالقرب من دمشق توفيت زوجتهُ وادركهُ بعد فقدها حزن شديد فزهد في الحياة وانقطع في بيتهِ باكيًا متحسرًا فاصابهُ مرض عضال الزمهُ الفراش مدةً وسلبهُ ما لهُ من الصحة . ولما طال مرضهُ ادرك انهُ اصبح على باب الابدية فاستدعى يومًا ولديهِ وكان لاكبرهما من العمر خمس وعشرون سنة واسمهُ جبرائيل ولاصغرهما عشرون سنة واسمهُ سعيد وقال لهما قد ازفت ساعة مفارقتي اياكما وترك هذا العالم الذي حنت ظهري مصائبهُ واني آسفٌ كثيرًا لانهُ لم يتيسر لي جمع مبلغ طائل من المال اتركهُ لكما يكفيكما شقاء الحياة ولكن ما اعهدهُ فيكما من الحذق والنشاط يغنيكما مع الاتكال على الله واستمداد معونتهِ وارشادهِ عما اتركهُ لكما . فاوصيكما اول كل شيء ان لا تحزنا لفقدي فاننا لهذا ولدنا وانما كلنا في هذه الارض عابرو سبيل واقضيا حياتكما بالتقوى والصلاح وعيشا بالاتفاق والمحبة فلا يفصل بينكما احد وكونا رجلين تعتمدان على جدكما وسعيكما ولا تتذللا لأحد فلا اصعب من جميل الانسان ولا اثقل من الدين ولا سيما دين الصدقة والمعروف . وانني وان لم اترك لكما ارثًا جزيلاً فالقليل الموجود كافٍ ليمكنكما من السفر الى بلاد اخرى فسافرا بدون تأخير لان معيشة الغربة تخفف من احزانكما وتشحذ عزائمكما للعمل فتبلغان باذنهِ تعالى ما اتمناهُ لكما من التوفيق والنجاح وارى ذلك من الديار التي اكون فيها فتباركما نفسي

وافاض ذلك الوالد المسكين في نصح اولادهِ وهما لا يجيبانهِ الا بالزفرات والشهيق ثم جثوَا بجانب سريرهِ وقد اخذ كلٌّ منهما يدًا من يديهِ يقبلها ويغسلها

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

بدموعهِ . ولما اتم الاب وصيتهُ وارشاداته رفع يديهِ على رأسي الولدين و باركهما بركةً لم يسمعا منها سوى الكلمات الاولى وكان الموت يضعف من قوة نطقهِ شيئاً فشيئاً حتى فاضت روحهُ مع آخر كلمةٍ تحركت بها شفتاهُ

وبكى الولدان اباهما اياماً ثم سئمت نفساهما الاقامة في تلك البلاد فصمما على مغادرتها عملاً بوصية والدهما المتوفى فجمعا ما تركهُ لهما من الميراث واقتسماهُ بالسوية وتباحثا في وجهة السفر فارتأى اصغرهما ان يسافرا معاً الى البلاد الاميركية وقال الاكبر لا بل يسافر كلٌّ منا الى جهة لانهُ من يضمن لنا النجاح اذا ذهبنا الى بلدةٍ واحدةٍ ولكن اذا تفرقنا فاذا لم ينجح الواحد لم ينقطع الامل من نجاح الآخر واذا تضايق الواحد امكن ان يساعدهُ الآخر ولعل الله يأخذ بايدينا ويكتب لنا التوفيق فلا نيأس من اجتماع شملنا بعد هذا الفراق

وبعد مناقشةٍ دامت اياماً قرر الاخوان العمل برأي اكبرهما فودَّع بعضهما بعضاً وسافر الاكبر الى جهات البرازيل والاصغر الى القطر المصري . وبلغ الاكبر مدينة ريوجنيرو وليس لديهِ من المال الا مبلغ يسير بقي لهُ من ارثهِ بعد نفقات السفر ولما القى عصاهُ في تلك البلاد الغريبة وهو لا يعرف فيها احدًا جعل يفكر في طريقةٍ لكسب معاشهِ فنزل بفندقٍ اقام فيهِ باجرة يسيرةٍ بضعة ايام . وفي ذات يوم خرج صباحاً كعادتهِ الى شوارع المدينة واخذ يجول بين التجار واصحاب الحوانيت يبحث عن عملٍ يعملهُ الا انهُ كان جاهلاً لغة البلاد فلم يدرِ كيف يخاطبهم ويفهم منهم واخيرًا قدّر لهُ ان بلغ محلاً يعرف صاحبهُ شيئاً من اللغة الفرنسوية فاطلعهُ جبرائيل على غرضه وانهُ يطلب عملاً يرتزق منهُ وكان الرجل في حاجةٍ الى مساعدٍ يعينهُ في حساباتهِ ورأى في وجه جبرائيل ما دلهُ فيهِ على الاستقامة والامانة والذكاء فادخلهُ في خدمتهِ وكان لهُ ميل شديد الى التجارة فجعل يعرض على صاحب المحل آراءَ جديدة ويهديهِ الى معاملاتٍ مستحدثة وعادت نصائحهُ بالخير والربح الجزيل على صاحب المحل فازداد حبهُ لهُ وزاد راتبهُ ثم ادخلهُ شريكاً في العمل. ولما تمكن جبرائيل من جمع مبلغ كافٍ من المال طلب الانفصال عن شريكهِ

والاستقلال بالعمل وانشأ لنفسهِ محلاً تجاريًا كبيرًا ما عتم ان امتدت شهرتهُ في تلك الاصقاع وكثر المترددون عليهِ والمعاملون لهُ واصبح من الاغنياء ثم تزوج بفتاةٍ من اهل تلك الديار ورزقهُ الله منها غلامًا سماهُ فيليب على اسم خالهِ وعاشت تلك الاسرة الصغيرة في رخاء ونعيم

اما الاخ الاصغر سعيد فانهُ جاء مصر كما ذكرنا وكان ذلك لعهد المغفور لهُ اسماعيل باشا فكان ينتقل من بلدةٍ الى اخرى سعيًا في طلب الرزق وسهلت لهُ التقادير وجود خدمةٍ في قصر الامير فلبث فيها مدةً ناعم البال . ورأى اسماعيل باشا في خدمة سعيد همةً واخلاصًا فمال اليهِ وكان يغمرهُ بالعطايا الجزيلة فلم يمضِ عليهِ سنواتٌ كثيرة حتى اصبح ذا مالٍ واقطعهُ اسماعيل ارضًا في بعض مديريات الوجه البحري فاصلحها و بنى لهُ فيها بيتًا فخيمًا وخصص باقيها للزراعة . وكانت انظار اسماعيل لا تزال موجهةً الى هذا الخادم الامين فكانت ار باحهُ تتضاعف ودائرتهُ تتسع وما زال على ذلك الى ان انقضت ايام الخديوي المذكور وقد اصبح ر يعهُ يقدّر بالالوف

وكان اخوهُ جبرائيل بعد وصولهِ الى البرازيل واقامتهِ فيها قد كتب اليهِ واعلمهُ بمحل وجودهِ فكان الاخوان يتكاتبان بدون انقطاع . ولما بلغ جبرائيل درجة الغنى التي ذكرناها قبلاً كتب الى اخيهِ يعلمهُ بذلك و يستقدمهُ اليهِ فأجابهُ سعيد واصفًا الحالة الحسنة التي هو فيها وانهُ في رخاء وسرور وعيش رغيد

و بعد خمس عشرة سنة من وصول جبرائيل الى البرازيل حدث فيها ثورةٌ كان معظمها في ر يوجنيرو وثار البرازيليون على الاجانب والغربا. ومن جملتهم جبرائيل فنهبوا محلهُ واتلفوا مالهُ وهجموا على بيتهِ قاصدين الايقاع بهِ فتلقتهم زوجتهُ وجعلت تكلمهم بلطف وتذلل الى ان تركوهُ وانقلبوا راجعين . غير ان احدهم لم يستحسن العودة بدون اظهار شيء من شراستهِ فوجه بندقيتهُ الى تلك الزوجة المسكينة واطلق رصاصة اصابتها في صدرها فسقطت تختبط بدمها بين يدي زوجها . وكانت هذه الضربة تفوق احتمال جبرائيل المذكور فبقي ايامًا مأسورًا في بيتهِ وهو

كفاقد العقل ولم يجترئ على الخروج من سجنهِ هذا خوف القتل فدفن زوجتهُ في حديقة الدار ولبث لا يفارق ضريحها الاَّ اذا أجبرهُ خدمهُ وولدهُ فيليب لتناول القوت . وحالما خمدت نيران الثورة ترك البلاد لانهُ لم يعد يطيق الاقامة فيها وجآء مصر مع ابنهِ قاصدًا اخاهُ فكان لملتقى الاخوين بعد ذلك الفراق الطويل و بعد ما ذكر من الحوادث تأثيرٌ شديد يتراوح بين سرور اللقآء ومضّ الاسف . ولابذل سعيد جهدهُ في تسلية اخيهِ وتطييب خاطرهِ غير ان المصيبة الفادحة التي ألمت بهِ كانت قد نهكت قواهُ واوقعتهُ في مرض عضال اودى بحياتهِ بعد وصولهِ ببضعة اشهر . ولما شعر جبرائيل بدنو اجلهِ استدعى اخاهُ سعيدًا واوصاهُ بابنهِ فيليب وقال لهُ اذكر يا اخي ما اوصانا بهِ والدنا قبل وفاتهِ و بما انك لا تزال عزبًا وانا قد فقدت زوجتي فسيكون ابني هذا بعد مماتي بمنزلة ابنٍ لك يعيش في طاعتك و يأتمر بأوامرك اما انا فسأموت ناعم البال لعلمي انهُ في حراسة من يعتني بهِ اكثر من ابيهِ . ولم يستطع سعيد ان يجيب اخاهُ بكلمةٍ لانهُ كان غاصًا بدموعهِ فمدّ المائت يمناهُ ووضعها على رأس ابنهِ وأمسك بيسراهُ يد اخيهِ وفاضت روحهُ

ولبث فيليب في بيت عمهِ معززًا مكرمًا ولم يقصر عمهُ في توفير وسائل سرورهِ وانبساطهِ فربي الولد في عزٍ ونعيم لا يهمهُ من العالم باسرهِ سوى الملذات واسباب اللهو والمسرات . ولما بلغ الحادية والعشرين من عمرهِ عين لهُ عمهُ راتبًا شهريًا ينفقهُ في سبيل سرورهِ

وجآء فيليب يومًا الى القاهرة فرأى فيها من اسباب اللهو ما يُرى في وقتنا الحاضر فطابت لهُ الاقامة فيها وكان في اول الامر مقتصرًا على النزهة والتفرج ولكنهُ ما عتم ان قادهُ رسول ابليس الى اندية شارع وجه البركة وتركهُ هناك حائرًا بين بدور الكؤوس وشموس الصهبآء و بين لفتات الفتيات وظبى احداق الظبآء فسقط المسكين في وهدةٍ لم يجد لهُ منها مخرجًا ورأى غيرهُ من الفتيان يرشفون اقداح بنت الحان فجلس على كرسيّ امام مائدةٍ وهو لا يدري ما يفعل . ولم يكد يجلس حتى جآءهُ الخادم وسألهُ ماذا يريد ان يشرب فاستغرب فيليب هذا السؤال ولكنهُ رأى نفسهُ

مدفوعاً الى طلب شيء فقال وقد بدت الحيرة على وجههِ اعطني ما شئت . فتبسم الخادم وغاب هنيهة ثم عاد و بيدهِ كأس من الوسكي يترقرق لونهُ الذهبي من خلال البلور ووضعها امام فيليب مع شيء من النقول . فأخذ فيليب الكاس وادناها من فمهِ وما شم رائحتها حتى ردَّها الى المائدة وكان الجلوس يلاحظونهُ فخجل من نفسهِ واعاد الكأس فابتلعها دفعةً واحدة وشعر باحتراق صدرهِ فابتلع وراءها كأساً من الماء البارد واخذ منديلاً يمسح بهِ العرق المتحلب من جبينهِ والدموع التي احدثتها حدَّة الشراب في عينيهِ ثم رمى الى الخادم ببعض الدراهم وخرج من الحانة قاصدًا الفندق الذي كان يقيم فيهِ . وكان في اثناء سيرهِ قد دبَّ تأثير تلك الكأس الى رأسهِ فشمخ بأنفهِ معجباً بنفسهِ وتخيل لهُ انهُ في عزٍ لم يدركهُ سواهُ وان من يراهم من البشر امامهُ خدم تسعى في تقديم الاحترام لهُ والطاعة لاوامرهِ . ولما بلغ غرفتهُ وانطرح على سريرهِ شعر بدوار خفيف فقام مذعورًا وجلس بازاء النافذة حيث كان النسيم البارد يخفف من حرارتهِ وحانت منهُ التفاتة فرأى في نافذة البيت المقابل لهُ فتاةً تتهادى تهادي غصن البان وتتلفت تلفت الغزلان وقد اشعلت مصباحاً في غرفتها ووقفت امام مرآة تصلح شعرها الذهبي الطويل المترامي الى اقدامها فظن فيليب نفسهُ في حلم او في عالم الخيال . فمسح عينيهِ وحدَّق ببصرهِ الى تلك الغرفة وكانت الفتاة في ريعان الصبى معتدلة القوام ناضرة الوجه فسلبت لبهُ ولم يعد يستطيع ان يحوّل نظرهُ عن تلك النافذة الى ان اكملت الفتاة ضفر شعرها وارتدت ثياب النوم ثم اطفأت مصباحها وساد الظلام على الغرفة . و بقي فيلب حيناً طويلاً كأنهُ ينتظر عودتها فلما يئس من ذلك رجع الى سريرهِ فنام وكان نومهُ مزعجاً قلقاً يهب منهُ من دقيقة الى اخرى مذعورًا و يسرع الى نافذتهِ فلا يرى شيئاً فيعود الى سريرهِ . ولما اسفر الصباح نهض فيليب وجلس امام نافذتهِ طول نهارهِ لعلهُ يرى فاتنة لبهِ فلم يفز بمشاهدتها واعياهُ الانتظار فخرج من الفندق وقادتهُ خطواتهُ الى الحانة فوجد دخولها هذه المرة اسهل منهُ بالامس فجلس وشرب الكأس الاولى والثانية و بعد ان تناول الطعام عاد الى غرفتهِ ولا تسل عن سرورهِ حين رأى غرفة

جارتهِ مضآءة كالليلة البارحة . وبعد قليل نظر تلك الغادة تتنقل في الغرفة ذهاباً واياباً ثم جلست تقرأ كتاباً الى ان دنت ساعة المنام فقامت كالسابق وعينا فيليب تراقبانها وهو يكاد يمانع اجفانهُ عن ان ترف لئلا تقطع عليهِ لذة ذلك المنظر ولو لحظة

واشتد الغرام والهيام بفيليب فبقي على الحالة التي ذكرناها مدة ايام لم يتغير في وصف حالتهِ شيء سوى انهُ اعتاد المسكر واصبح لا يرتوي الا من الكاس السابعة أو الثامنة . وتمكن اخيرًا من التعرف بأهل الفتاة فوجدهم اناساً من طبقة غير دنيئة يتعاطى والدها التجارة وتذهب هي الى المدرسة يومياً لتتعلم اللغة الفرنسوية والموسيقى وعرف ايضاً انها تدعى اوجيني . وكان فيليب يتردد على هذه الاسرة مدة فلا يزيدهُ الاجتماع بفاتنتهِ الا عشقاً وهياماً لم يستطع اخفآءهُ فباح لها يوماً بما يكنهُ فؤادهُ من الحب فأجابتهُ الفتاة بلطف انها تميل اليهِ ايضاً ولكنها تروم منهُ ان يفاتح والديها في الامر قبل ان يعتمد على جوابها لانها لن تفعل شيئاً بدون ارادتهما . وكان ذلك ما يتمناهُ فيليب فذاكر اهل الفتاة بما في نفسهِ وكان هؤلآء لا يعرفون من امرهِ شيئاً يمنع موافقتهم لطلبهِ فأجابوهُ فخطب اوجيني وايقن انهُ ادرك ذروة السعادة والعز واخذ من يومهِ يقدم الهدايا الثمينة والجواهر والحلى النفيسة . ورأى ان المال المعين لهُ شهريًا لا يكفي لنفقاتهِ هذه فذهب الى عمهِ وطلب منهُ ان يزيد لهُ المرتب الشهري . وكان سعيد يعلم ان ما خصصهُ لفيليب اكثر مما يحتاج اليهِ فتى في سنهِ وحالتهِ وخشي ان زاد المبلغ ورأى فيليب كثرة المال في يديهِ ان يقتدي بسيرة ابنآء الاغنيآء فينهمك بالمسكر والمقامرة فرفض طلب ابن اخيهِ وقال لهُ ان ما عينتهُ لك يجب ان يزيد عن احتياجاتك فانفقهُ بتعقل ولا تسألني ان ازيدهُ لك بعد الآن . وخاف فيليب ان اخبر عمهُ بخطبتهِ لاوجيني ان يغضب عليهِ لانهُ فعل ذلك بدون علمهِ فربما آل الامر الى اجبارهِ على فسخ الخطبة وهو امرٌ يرى الموت اسهل عليهِ منهُ أو حرمانهِ المرتب ان خالفهُ فلا يبقى لهُ سبيل الى الحصول عليها بوجه من الوجوه فصبر على بلواهُ ولكنهُ صبرٌ قطَّع فؤادهُ وهاج حقدهُ فلبث الى ان انتهى الشهر وقبض راتبهُ ثم عاد الى القاهرة وما صدّق ان اجتمع بحبيبتهِ وشكا لها

ألم الفراق فعاتبتهُ على تركهِ اياها تلك المدة فقال ان اشغالهُ في مشارفة اطيان عمهِ توجب عليهِ ان يتعقدها من وقتٍ الى آخر . وعاد فيليب الى تبذيره السابق فما انتصف الشهر حتى اصبح صفر اليدين وكان قد صار من اخصّ المترددين على تلك الحانة الجهنمية فلم يتأخر صاحبها عن ان يسلفهُ ما يحتاج اليهِ من المال ويقدم لهُ المشروب على الحساب فكان يبقى الى ما قبل نهاية الشهر بخمسة ايام ثم يغادر القاهرة ويعود الى عمهِ فيصرف الايام الباقية في العزلة والانفراد الى ان يقبض الراتب الجديد ويرجع فيفي صاحب الحانة حقهُ ويعود الى مثل الشهر السابق

وكان فيليب يعلل نفسهُ بأن عمهُ قد تقدم في السن وانهُ لا بد من موتهِ قريباً فلا يكون لهُ وارث سواهُ فيتمتع اذ ذاك بتمام ما يشتهيهِ بدون مراقبة ولا عريف . وبعد مرور ستة اشهر على خطبة فيليب كان اهل خطيبتهِ يلحون عليهِ بالاسراع في الزواج جرياً على عوائد البلاد فكان يسوّفهم ويعدهم بالاسراع في ذلك وهو يبتهل الى الله ان يقصّر من حياة عمهِ ويبلغهُ مبتغاهُ . وفي ذات يوم عاد الى بيت عمهِ كعادته عند اواخر الشهر فوجد البيت في حركة غير مألوفة ورأى اناساً يعملون في التنظيف والترتيب وتجديد الاثاث والمفروشات فاستغرب ذلك وسأل عمهُ عن السبب فقال لهُ انني بلغت هذا العمر يا فيليب ولم ازل عزباً لان قوة الحداثة كانت تسهل لي قضاء حوائجي اما الآن وقد بدأت اشعر بضعفي فقد عزمت على الاقتران بسيدةٍ تساعدني في خوض بحر هذه الحياة . ولو وقعت صاعقة على رأس فيليب لكانت عليهِ اسهل احتمالاً من سماع كلمات عمهِ هذه ولكنهُ تجلد وقال اصحيح ما تقولهُ يا عماه وقد اخبرتني من بضعة ايام انك في السابعة والخمسين من العمر فأي فتاة ترضاك بعلاً لها في هذه السن . فقهقه سعيد ضاحكاً وقال لا تخف يا فيليب فبين الفتيات من يعرفنَ فضل الزواج في هذه السن ويرغبنَ في ادارة البيوت اكثر من رغبتهنَّ في التبرّج والملاهي وقد وجدت منهنَّ واحدة وتم الاتفاق بيننا برضى ذويها . فقال فيليب ومتى يكون الاقتران يا عماه . قال في آخر الشهر الحالي ولم اخبرك بذلك واستدعك لحضور الحفلة لعلمي انهُ لا بد من مجيئك في مثل هذا الوقت

ولم يستطع فيليب بعد هذا ان يقف امام عمهِ لئلا يخونهُ جلدهُ فخرج من البيت وسار على غير هدًى حتى ابتعد عن البلدة وغاص بين الاراضي المزروعة وما زال سائرًا حتى بلغ ضفة احدى الترع وقد نمى على جانبها الحلفآء فجلس وغرق في تاملاتهِ وتأكد ان جميع آماله قد ذهبت ادراج الرياح وانهُ اذا تزوج عمهُ فلا يبقى لهُ رجآء في الحصول على المال لانهُ اما ان يرثهُ اولاد عمهِ اذا رزقهُ الله اولادًا أو تقاسمهُ زوجتهُ جانبًا من التركة . وفيما هو كذلك استدعى انتباههُ صوت لغطٍ وغوغآء بالقرب منهُ فأصاخ بسمعهِ واذا بصوت بعض الفعلة الحشاشين قد اجتمعوا في تلك الخلوة يدخنون ويقول احدهم ان حياتنا صعبة يا اخوان فلا نكسب في يومنا اكثر من غرشين ننفق احدهما ثمن الحشيش ونبقى على غرش واحد . فقال آخر اما انا فلست بقانعٍ بهذه العيشة ولا بد من ذهابي الى بلدة كبيرة فأترصد بعض اغنيآئها الى ان اسلبهُ شيئًا وافرًا من مالهِ سوآء كان بالنصب أو القتل أو كيفما كان الحال واعود خلي البال

وبعد مباحثةٍ دامت حصةً من الزمن نهض الفعلة الى اشغالهم الا المتكلم الاخير فان فعل الحشيش كان قد اثر فيهِ اكثر من اصحابهِ فتوسد الثرى ورأى الباقون حالتهُ وظهر انها كانت مألوفة عندهم فتركوهُ ومضوا

وابرق في مخيلة فيليب فكرٌ جهنميٌّ فضحك مقهقهًا ونهض لساعتهِ فسار الى ان جآء وجلس بجانب النائم واخذ يكلمهُ ويسايرهُ الى ان افاق قليلاً من سكرهِ فقال لهُ ما اسمك يا هذا قال اسمي عثمان . فقال لهُ هل لك ان تخدمني خدمة يا عثمان فاغنيك . فابرقت اسرة عثمان وقال مرني يا مولاي فتراني لك اطوع من هذه العصا التي في يدك . فقال فيليب ولكن ربما كان في خدمتي خطر او اوجب الامر قتل شخصٍ ما . فقال عثمان ولو كلفتني قتل عشرين شخصًا لا اتأخر عن القيام بخدمتك . وكان فيليب بعد معاشرتهِ لاصحاب الكأس قد علم ان بين رعاع القوم من يوثق بهم وانهم اذا وعدوا وفوا فاطلع عثمان على تاريخ حياتهِ كما علمناهُ واخبرهُ ايضًا بما نواهُ عمهُ وانهُ سيفقد جميع آمالهِ . ثم قال لهُ وقد عزمت الآن ان اكلفك قتل عمي قبل زواجهِ ليعود الارث اليَّ واذا تم ذلك انقدك مئة جنيهٍ

واعين لك راتباً لا ينقص عن ثلاث مئة غرش تتقاضاهُ مني شهريًّا . فطارت نفس عثمان سرورًا ونهض فاخرج من حزامهِ خنجرًا ماضياً يلوح ملاك الموت على حدّهِ وقال اتريد ان اذهب الآن . فقال فيليب مهلاً يا صاح فلا بد من تدبير الامر قبل السعي فيهِ . و بعد تبادل الافكار قرر الاثنان ان يذهب عثمان في تلك الليلة الى بيت سعيد فيتربص لهُ في غرفة نومهِ ومتى نام يقوم فيطعنهُ ثم يترك الخنجر غائصاً في جسمهِ ويلقي بجانبهِ بطاقةً كتبها لهُ فيليب مقلدًا فيها كتابة عمهِ يقول فيها انهُ هو قتل نفسهُ لاسباب خصوصية وينفي التهمة عن كل احد سواهُ

ولما خيم الظلام ذهب عثمان عاقدًا النية على اتمام رسالتهِ ومرّ في طريقهِ على حانةٍ شرب فيها مقدارًا من المسكر لكي يساعدهُ في عملهِ . وعند ما انتصف الليل قصد بيت سعيد وعالج نافذةً ففتحها ودخل فلم يجد احدًا في البيت لان سعيدًا كان قد خرج ليزور بيت خطيبتهِ فدخل غرفتهُ وانسلّ تحت سريرهِ واقام ينتظر رجوعهُ ولكنهُ ما مضى عليهِ وقتٌ طويل حتى غلب عليهِ النعاس والسكر فنام . و بعد ذلك بقليل عاد سعيد الى البيت فدخلهُ وهو يفكر في غدهِ وقرب موعد الزواج و بلغ غرفتهُ فجلس وخطر في بالهِ امر ابن اخيهِ فيليب فعزم ان يخصص لهُ مبلغاً جسيماً من المال و يسلمهُ اليهِ ليتصرف فيهِ كيف شآء . وانهُ في هذه الافكار واذا بغطيط نائم استوقف افكارهُ فحار في الامر و بحث عن جهة الصوت حتى اقترب من السرير ورفع غطآءهُ فرأى عثمان نائماً بتمام الراحة على الارض قابضاً بيدهِ على الخنجر المعهود و باليد الاخرى على البطاقة . فتراجع سعيد مذعورًا وما صدق ان بلغ الباب فخرج بكل خفةٍ واحتراس وايقظ خادماً لهُ فارسلهُ في طلب الشحنة والقي القبض على عثمان وهو في سبات النوم ولما افاق قرروهُ فاقرّ فسلموهُ الى العدالة لتنظر في شأنهِ . اما فيليب فتداخل عمهُ في امرهِ و بعد ان و بخهُ على مكافأتهِ اياهُ بالشر عما احسن بهِ اليهِ تكرَّم عليهِ بمبلغ وصرفهُ ليذهب الى حيث شآء بشرط ان يغادر القطر فذهب تاركاً الجنة التي اضاع فيها عزهُ ومستقبلهُ وخطيبتهُ وهو يلعن الكأس الاولى التي شربها فجرَّت عليهِ هذا الوبال